ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء في شرح المفصّل لابن يعيش: دراسة صوتيّة لسانيّة تحليليّة

The Phenomenon of Assimilation in the Recitation of Abū ʿAmr ibn al-ʿAlāʾ in Ibn Yaʿīsh's Sharḥ al-Mufaṣṣal: A Phonetic Analytical Study

د. محمّد يونس هاني: قسم اللّغة العربيّة، كليّة اللّغات التطبيقيّة، جامعة الإعلام والفنون والاتّصال أكرا غانا.

د. محمّد معاذ بن عبد الرّحمن: قسم اللّغات الإفريقيّة والآسيويّة، كليّة العلوم الإنسانيّة جامعة غانا– ليغون أكرا- غانا.

***Dr. Mohammed Yunus Hani**: Arabic Department, Faculty of Applied Languages, University of Media Arts and Communication (UniMAC), Accra Ghana.*
Email: myhani@unimac.edu.gh

ORCID: https://orcid.org/0009-0003-4607-9965

***Dr. Mohammed Mouaz Abdul Rahman**: Department of African and Asian Languages, College of Humanities, University of Ghana- Legon Accra-Ghana.*
Email: mmouaz@ug.edu.gh

ORCID: https://orcid.org/0009-0005-3679-6527

تاريخ الاستلام: 2026-08-02 تاريخ القبول: 2026-08-24 تاريخ النشر 2026-10-01

الملخّص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء من خلال ما أورده ابن يعيش في شرح المفصل، بهدف الكشف عن الأسس الصوتية التي وجّهت اختيارات أبي عمرو الإدغامية، وبيان أبعادها في ضوء الدرس الصوتي واللساني الحديث. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال استقراء الشواهد التي نقلها ابن يعيش، وتحليلها في ضوء المخارج والصفات والعلاقات الصوتية بين الأصوات المتجاورة، مع الإفادة من المفاهيم اللسانية الحديثة ذات الصلة. وتناولت الدراسة مفهوم الإدغام وعلاقته بالمماثلة الصوتية، ثم بحثت أبرز أسسه الصوتية، وفي مقدمتها التخفيف والاقتصاد النطقي، والانسجام الصوتي، وأثر المخارج والصفات في توجيه الإدغام. كما حللت نماذج من اختيارات أبي عمرو شملت إدغام (الحاء في العين)، و(الجيم في الشين والتاء)، و(الضاد في الشين)، و(الراء في اللام)، و(الطاء في التاء)، و(الميم في الباء)، و(الباء في الميم)، مع الوقوف على التعليلات التي قدمها ابن يعيش ومقارنتها بالتصورات الصوتية التي عرضها علماء العربية والقراءات. وتوصل البحث إلى أن اختيارات أبي عمرو بن العلاء تكشف عن وعي صوتي دقيق يقوم على مراعاة التقارب بين الأصوات، والتخفيف النطقي، وتحقيق الانسجام، ومراعاة السياق الصوتي. كما أظهرت الدراسة أن كثيرًا من تعليلات علماء العربية تتوافق في جوانب مهمة مع مفاهيم اللسانيات الحديثة، ولا سيما المماثلة الصوتية والاقتصاد النطقي والتقارب في مواضع النطق. وتبين كذلك أن الإدغام عند أبي عمرو لا تحكمه قاعدة صوتية واحدة، وإنما تتفاعل في توجيهه عوامل مخرجية وصفاتية ونطقية وسياقية، بما يؤكد قيمة التراث الصوتي العربي في الدراسات اللسانية المعاصرة.

الكلمات المفتاحيّة: الإدغام، أبو عمرو بن العلاء، ابن يعيش، شرح المفصّل، المماثلة الصوتيّة.

Abstract:

This study examines the phenomenon of assimilation (idghām) in the recitation of Abū ʿAmr ibn al-ʿAlāʾ through the evidence presented by Ibn Yaʿīsh in his *Sharḥ al-Mufaṣṣal*. It aims to identify the phonetic principles underlying Abū ʿAmr's assimilation choices and to explore their significance in light of modern phonetic and linguistic approaches. The study adopts a descriptive-analytical method, drawing on the examples cited by Ibn Yaʿīsh and analyzing them in terms of places and manners of articulation and the phonetic relationships between adjacent sounds, while also benefiting from relevant concepts in modern linguistics. The study first examines the concept of assimilation and its relationship to phonetic assimilation, and then investigates its principal phonetic foundations, particularly ease of articulation and economy of effort, phonetic harmony, and the role of places and manners of articulation in determining assimilation. It also analyzes a number of Abū ʿAmr's assimilation patterns, including the assimilation of /ḥ/ into /ʿ/, /j/ into /š/ and /t/, /ḍ/ into /š/, /r/ into /l/, /ṭ/ into /t/, /m/ into /b/, and /b/ into /m/. Particular attention is given to Ibn Yaʿīsh's explanations of these patterns and their comparison with the phonetic accounts provided by early Arab linguists and Qurʾānic recitation scholars. The study concludes that Abū ʿAmr's assimilation choices reflect a high degree of phonetic awareness, manifested in attention to sound proximity, ease of articulation, phonetic harmony, and the surrounding phonetic context. It further demonstrates that many of the explanations offered by early Arab scholars correspond, in significant respects, with concepts in modern linguistics, particularly assimilation, economy of articulation, and articulatory proximity. The study also shows that assimilation in Abū ʿAmr's recitation is not governed by a single phonetic principle; rather, articulatory, phonetic, and contextual factors interact in determining its occurrence. This highlights the continuing value of the Arabic phonetic tradition for contemporary linguistic studies.

Keywords: Assimilation (Idghām), Abū ʿAmr ibn al-ʿAlāʾ, Ibn Yaʿīsh, *Sharḥ al-Mufaṣṣal*, Phonetic Assimilation.

المقدّمة:

تعدّ الظّواهر الصوتيّة من أكثر المستويات اللغويّة ارتباطاً بطبيعة الأداء اللغويّ وخصائصه النطقيّة؛ إذْ تمثّل الجانب العمليّ للصّوت الإنسانيّ في أثناء تشكّل البنية الكلاميّة وانتقالها من حيّز التّجريد إلى حيّز الاستعمال. وقد أولى اللغويّون القدامى هذا الجانب عناية كبيرة، فدرسوا الأصوات ومخارجها وصفاتها، وربطوا بين الظّواهر الصوتيّة ومبدأي التّخفيف والانسجام في الكلام، حتّى غدا الدّرس الصوتيّ العربيّ من أكثر فروع الدّرس اللغويّ نضجاً وعمقاً في التّراث العربيّ الإسلاميّ.

ومن بين الظّواهر التي حظيت بعناية واسعة عند القدماء ظاهرة الإدغام؛ لما لها من أثر بارز في تحقيق الانسجام الصوتيّ، والتّخفيف في النّطق، وتقليل الجهد العضليّ المبذول أثناء الأداء الكلاميّ. والإدغام مظهر من مظاهر المماثلة الصوتيّة التي تقوم على تقريب الأصوات بعضها من بعض أو دمجها تحقيقاً للسّهولة والاقتصاد النطقيّ، وهو ما يجعل هذه الظّاهرة ذات صلة وثيقة بالدّراسات الصوتيّة واللسانيّة الحديثة.

وقد برز أبو عمرو بن العلاء بوصفه أحد الأئمّة الذين أسهموا في ترسيخ كثير من القضايا الصوتيّة في التّراث العربيّ، سواء من خلال اختياراته القرائيّة أم توجيهاته اللغويّة التي كشفت عن حسّ صوتيّ دقيق وفهم عميق لخصائص الأصوات العربيّة وعلاقاتها. ولم يكن اهتمامه بالإدغام مجرّد ممارسة أدائيّة في القراءة، بل ارتبط بأسس صوتيّة ولغويّة تعكس وعياً مبكّراً بوظائف الأصوات وآليّات التّيسير في النّظام اللغويّ العربيّ.

وإنّ أهميّة شرح المفصّل تبرز في كونه من المصادر التراثيّة الكبرى التي حفظت كثيراً من آراء العلماء واللغويّين، ومن بينهم أبو عمرو بن العلاء حيث عرض ابن يعيش عدداً من الظّواهر الصوتيّة والتّوجيهات اللغويّة المرتبطة بالإدغام، مقرونة بالتّعليل والتّحليل، الأمر الذي يجعل الكتاب مادّة علميّة خصبة للكشف عن الأبعاد الصوتيّة واللسانيّة في فكر أبي عمرو.

وتسعى هذه الدّراسة إلى استقراء المواضع التي تناول فيها ابن يعيش ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو، وتحليلها في ضوء المعطيات الصوتيّة واللسانيّة الحديثة، مع الوقوف على الأسس التي اعتمدها أبو عمرو في توجيه هذه الظّاهرة، وبيان مدى ارتباطها بمبادئ الانسجام الصوتيّ والاقتصاد النطقيّ والمماثلة الصوتيّة.

إشكاليّة الدّراسة:

شكّلت اختيارات أبي عمرو بن العلاء في الإدغام ميداناً مهمّاً للدّراسة الصوتيّة؛ إذ ارتبطت بجملة من التّوجيهات اللغويّة والصوتيّة التي تعكس وعياً مبكّراً بطبيعة النّظام الصوتيّ العربيّ وآليّات التّيسير في النّطق. غير أنّ كثيراً من الدّراسات السّابقة تناولت الإدغام عند أبي عمرو من زاوية

قرائيّة أو تجويديّة، في حين ظلّ الجانب الصوتيّ اللسانيّ في هذه الظّاهرة بحاجة إلى مزيد من التّحليل والكشف، خاصّة من خلال ما أورده ابن يعيش في شرح المفصّل من نصوص وتعليلات ذات قيمة علميّة ولغويّة.

ومن هنا تتمثّل إشكاليّة الدّراسة في محاولة الكشف عن الكيفيّة التي عالج بها أبو عمرو بن العلاء ظاهرة الإدغام، والأسس الصوتيّة واللسانيّة التي قامت عليها اختياراته، ومدى توافق تلك المعالجات مع ما تقرّره الدّراسات الصوتيّة الحديثة في قضايا المماثلة الصوتيّة والانسجام والاقتصاد النطقيّ.

وتنطلق الدّراسة من السّؤال الرّئيس: **ما الأسس الصوتيّة واللسانيّة التي قامت عليها ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء كما عرضها ابن يعيش في شرح المفصّل؟)**

وقد تفرّع عن هذا السّؤال الرّئيس عدد من الأسئلة الفرعيّة، منها:

1- ما مفهوم الإدغام عند علماء العربيّة القدماء، وما أنواعه الصوتيّة؟
2- ما أبرز صور الإدغام التي نسبت إلى أبي عمرو بن العلاء في شرح المفصّل؟
3- ما التّعليلات الصوتيّة التي اعتمدها أبو عمرو في توجيه ظاهرة الإدغام؟
4- كيف أسهم الإدغام عند أبي عمرو في تحقيق التّخفيف والانسجام الصوتيّ؟
5- ما أوجه الاتّفاق بين تفسير أبي عمرو للإدغام وبعض المفاهيم الصوتيّة اللسانيّة الحديثة؟

أهداف الدّراسة:

تسعى هذه الدّراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان مفهوم الإدغام وأبعاده الصوتيّة في التّراث اللغويّ العربيّ.
2- رصد المواضع التي تناول فيها ابن يعيش ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء في شرح المفصّل.
3- تحليل الظّواهر الإدغاميّة عند أبي عمرو تحليلاً صوتيّاً ولسانيّاً.
4- الكشف عن التّعليلات الصوتيّة الكامنة وراء اختيارات أبي عمرو في الإدغام.
5- إبراز الصّلة بين التصوّرات الصوتيّة التراثيّة وبعض النظريّات اللسانيّة الحديثة.
6- التّأكيد على عمق الدّرس الصوتيّ عند علماء العربيّة الأوائل وأثره في الدّراسات اللغويّة المعاصرة.

منهج الدّراسة:

تقتضي طبيعة هذه الدّراسة اعتماد المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ لملاءمته دراسة الظّواهر الصوتيّة وتحليلها في ضوء المعطيات اللغويّة واللسانيّة. ويقوم هذا المنهج على استقراء المواضع التي تناول

فيها ابن يعيش ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء في شرح المفصّل، ثمّ تصنيفها وتحليلها للكشف عن الأسس الصوتيّة واللسانيّة التي قامت عليها.

كما تستفيد الدّراسة من المنهج التحليليّ اللسانيّ في تفسير الظّواهر الإدغاميّة وربطها ببعض المفاهيم الصوتيّة الحديثة، مثل: المماثلة الصوتيّة، والانسجام الصوتيّ، والاقتصاد النطقيّ، مع بيان أوجه الاتّفاق بين التصوّرات التراثيّة والمعالجات اللسانيّة المعاصرة. وتسير الدّراسة إجرائيّاً وفق الخطوات الآتية:

1- جمع النّصوص المتعلّقة بالإدغام عند أبي عمرو بن العلاء من شرح المفصّل لابن يعيش.
2- تصنيف الظّواهر الإدغاميّة بحسب أنواعها الصوتيّة.
3- تحليل النّصوص والتّعليلات الواردة عند ابن يعيش وأبي عمرو تحليلاً صوتياً ولسانيّاً.
4- ربط الظّواهر المدروسة ببعض المفاهيم الصوتيّة الحديثة ذات الصّلة.
5- استخلاص النّتائج التي تكشف عن طبيعة التّفكير الصوتيّ عند أبي عمرو بن العلاء وأثره في الدّرس اللغويّ العربيّ.

أهميّة الدّراسة:

تنبع أهميّة هذه الدّراسة من أهميّة الموضوع الذي تتناوله، والمتمثّل في ظاهرة الإدغام بوصفها إحدى الظّواهر الصوتيّة المركزيّة في الدّرس اللغويّ العربيّ، فضلاً عن ارتباطها بشخصيّة لغويّة بارزة هي أبو عمرو بن العلاء، الذي عرف بدقّة ملاحظاته الصوتيّة وعمق توجيهاته اللغويّة. كما تستمدّ الدّراسة أهميّتها من اعتمادها على شرح المفصّل مصدراً رئيساً؛ لما يتضمّنه من مادّة علميّة ثريّة حفظت كثيراً من الآراء الصوتيّة واللغويّة ذات القيمة في التّراث العربيّ. كما تتجلّى أهميّة الدّراسة في عدد من الجوانب، من أبرزها:

1- إسهامها في إبراز الجهود الصوتيّة عند علماء العربيّة الأوائل، والكشف عن عمق الوعي اللغويّ لديهم في معالجة الظّواهر الصوتيّة.
2- تسليط الضّوء على ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء بوصفها ظاهرة تقوم على أسس صوتيّة ولسانيّة دقيقة، لا مجرّد أداء قرائيّ أو تجويديّ.
3- إبراز القيمة العلميّة لكتاب شرح المفصّل لابن يعيش باعتباره مصدراً مهمّاً في حفظ وتحليل القضايا الصوتيّة واللغويّة في التّراث العربيّ.
4- ربط الدّرس الصوتيّ التراثيّ بالمقاربات اللسانيّة الحديثة، من خلال توظيف مفاهيم مثل المماثلة الصوتيّة، والانسجام الصوتيّ، والاقتصاد النطقيّ.
5- الإسهام في إثراء الدّراسات التي تجمع بين التّراث اللغويّ العربيّ واللسانيّات الحديثة، وهو اتّجاه علميّ يحظى باهتمام متزايد في البحوث المعاصرة.

6- فتح المجال أمام دراسات أخرى تتناول الظّواهر الصوتيّة عند القرّاء واللغويّين العرب في ضوء المناهج اللسانيّة الحديثة.

المبحث الأوّل: الإدغام وأبعاده الصوتيّة في الدّرس اللغويّ العربيّ

أوّلاً: تعريف الإدغام عند اللغويّين والقرّاء:

يمثّل الإدغام إحدى الظّواهر الرّئيسة في النّظام الصوتيّ العربيّ، إذْ تتجلّى فيه العلاقات بين مخارج الحروف وصفاتها، كما تظهر من خلاله نزعة العربيّة إلى التّخفيف وتحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة. ولذلك استأثر بعناية اللغويّين والقرّاء منذ البدايات الأولى للتّأليف اللغويّ، فتناولوه بالوصف والتّحليل والتّعليل، كلّ بحسب طبيعة اختصاصه؛ فاللغويّون نظروا إليه بوصفه ظاهرة صوتيّة تحكمها قوانين النّطق والبنية اللغويّة، في حين نظر إليه القرّاء من جهة أثره في الأداء القرآنيّ وصحة التلقّي.

ففي اللّغة، يشتقّ الإدغام من الجذر (دغم)، الذي يدلّ على الإدخال والإخفاء والامتزاج. يقال: أدغمت الشّيء في الشّيء؛ أيْ أدخلته فيه، ومنه إدغام الحرف في الحرف. وقد أورد ابن منظور هذا المعنى بقوله: "الإدغام إدخال حرف في حرف، يقال: أدغمت الحرف وادَّغمته" (ابن منظور، 1414هـ، ج12، ص203).

أمّا في الاصطلاح، فإنّ المتأمّل في معالجة قدماء اللغويّين يلحظ أنّهم لم يوردوا تعريفاً اصطلاحيّاً مستقلّاً للإدغام، فمثلاً سيبويه في الكتاب عرض آليّته في أثناء حديثه عن أبوابه، وتبيّن من كلامه أنّ الإدغام يقوم على إدخال حرف في مثله أو في حرف يقاربه حتّى يرتفع اللّسان عنهما رفعة واحدة (سيبويه، 1988، ج4، ص417). فهذا الوصف يكشف عن وعي صوتيّ متقدّم بآليّة الإنتاج الكلاميّ؛ إذْ يقوم الإدغام على توحيد الحركة النطقيّة واختصار الجهد المبذول في الانتقال بين صوتين متجاورين، حتّى ينطق بهما وكأنّهما صوت واحد مشدّد.

وقد عمّق ابن جنيّ هذا التصوّر حين جعل الإدغام قائماً على العلاقة الصوتيّة بين الأصوات، فقال: "قد ثبت أنّ الإدغام المألوف المعتاد إنّما هو تقريب صوت من صوت" (ابن جنيّ، 1385هـ، ج2، ص141). فهذا النصّ يدلّ على أنّ ابن جنيّ لم يقصر الإدغام على مجرّد اندماج حرفين، وإنّما ربطه بالتّقارب الصوتيّ بينهما، وجعل التّخفيف غايته الأساسيّة.

أمّا عند القرّاء، فقد ارتبط مفهوم الإدغام بكيفيّة الأداء في تلاوة القرآن الكريم، ولذلك عرّفه ابن الجزريّ في النّشر في القراءات العشر بأنّه: "اللّفظ بحرفين حرفاً كالثّاني مشدّداً" (ابن الجزريّ، ج1، ص274). ويعكس هذا التّعريف الطّبيعة التطبيقيّة لعلم القراءات؛ إذْ يركّز على الصّورة الأدائيّة النّاتجة عن إدغام الحرف الأوّل في الثّاني، بما يحقّق سلامة الأداء والمحافظة على الرّواية المتلقّاة.

وفي الدّراسات اللسانيّة الحديثة، ينظر إلى الإدغام بوصفه صورة من صور المماثلة الصوتيّة (Assimilation)، وهي عمليّة يكتسب فيها صوت بعض خصائص الصّوت المجاور له أو جميعها نتيجة التّجاور في السّلسلة الكلاميّة؛ ممّا يؤدّي إلى زيادة الانسجام الصوتيّ وتيسير الانتقال بين الحركات النطقيّة. ويقرّر علماء الأصوات المحدثون أنّ الإدغام يمثّل أحد أبرز مظاهر التأثّر السياقيّ بين الأصوات، ويفسّر في إطار مبادئ الفونولوجيا والإنتاج الكلاميّ التي تربط بين البنية الصوتيّة والاقتصاد في الجهد النطقيّ (Odden, 2013; Ladefoged & Johnson, 2015; Gussenhoven & Jacobs, 2017).

ثانياً: العلاقة بين الإدغام والمماثلة الصوتيّة:

إنّ العلاقة بين الإدغام والمماثلة الصوتيّة تعدّ من أبرز القضايا التي تكشف عن عمق التّفكير الصوتيّ في التّراث اللغويّ العربيّ؛ إذْ يمثّل الإدغام التّطبيق الأوضح لتأثّر الأصوات بعضها ببعض داخل السّلسلة الكلاميّة. وقد تنبّه اللغويّون منذ وقت مبكّر إلى أنّ تجاور الأصوات لا يقتصر على التّعاقب الزمنيّ في النّطق، بل يترتّب عليه تأثير متبادل بين الحروف يؤدّي في بعض المواضع إلى تقاربها أو اندماجها تحقيقاً للخفّة وحسن الائتلاف. وعلى الرّغم من أنّ مصطلح المماثلة الصوتيّة (Assimilation) لم يكن معروفاً بصيغته الاصطلاحيّة عند اللغويّين القدماء، فإنّ تعليلاتهم للإدغام تكشف عن إدراك واضح للأسس الصوتيّة التي تقوم عليها هذه الظّاهرة.

ويقصد بالمماثلة الصوتيّة في الدّراسات اللسانيّة الحديثة تأثّر صوت بصوت مجاور له، بحيث يكتسب بعض خصائصه أو خصائصه كلّها، نتيجة التّجاور في الكلام، بما يحقق قدراً أكبر من الانسجام الصوتيّ ويسهم في تيسير النّطق. وقد عرض أحمد مختار عمر صوراً متعدّدة للمماثلة، منها المماثلة الكليّة والجزئيّة، والمماثلة التقدميّة والرجعيّة، والمماثلة من حيث المخرج ومن حيث كيفيّة النّطق، بما يكشف عن اتّساع المفهوم وتعدّد مستوياته في التّحليل الصوتيّ الحديث (عمر، 1985، ص324–325). ومن هذا يمكن النّظر إلى الإدغام بوصفه إحدى الصّور البارزة للمماثلة الصوتيّة، إذْ يبلغ التأثّر بين الصّوتين فيه درجة تؤدّي إلى زوال استقلال الصّوت الأوّل واندماجه في الصّوت الثّاني، في حين تظلّ المماثلة أوسع نطاقاً؛ لأنّها تشمل حالات من التأثّر الصوتيّ لا تبلغ حدّ الإدغام الكامل.

ومن هذا المنظور، يمكن النّظر إلى الإدغام في العربيّة بوصفه أخصّ صور المماثلة الصوتيّة وأكملها؛ إذْ لا يقتصر الأمر على تأثّر الصّوت الأوّل بالصّوت الثانيّ، بل ينتهي– في كثير من صوره– إلى اندماجه فيه اندماجاً تامّاً، حتّى يفقد استقلاله الصوتيّ ويلفظ الحرفان حرفاً واحداً مشدّداً. ولذلك كان الإدغام عند علماء العربيّة مشروطاً بقيام علاقة صوتيّة قويّة بين الحرفين، تتمثّل في

التّماثل أو التّجانس أو التّقارب، وهي العلاقات التي تشكّل الأساس الفونولوجيّ للمماثلة في التّحليل اللسانيّ الحديث.

ويفهم من معالجة سيبويه في الكتاب أنّ التّقارب بين الحروف هو العامل الذي يهيّئ لوقوع الإدغام؛ إذْ بنى أحكامه على ملاحظة المخارج والصّفات، وما يترتّب على تقاربها من سهولة الانتقال بين الأصوات؛ ولم يكن اهتمامه منصبّاً على وضع نظريّة مستقلّة للمماثلة، وإنّما على تفسير الأسباب التي تجعل العرب تدغم بعض الحروف وتظهر بعضها الآخر. وهذا المنهج يدلّ على إدراك دقيق بالعلاقة بين البنية الصوتيّة للأصوات وسهولة إنتاجها، دون أن يعني ذلك تطابق تصوّره مع المفهوم اللسانيّ الحديث للمماثلة.

أمّا ابن جنيّ فقد انتقل بالبحث من الوصف إلى التّعليل؛ فجعل الإدغام قائماً على تقريب الأصوات بعضها من بعض، وربط بينه وبين ميل العربيّة إلى التّخفيف، وهو ما يظهر بوضوح في معالجته للإدغام في الخصائص. وهذا التصوّر يكشف عن إدراك أنّ العلاقة بين الأصوات ليست علاقة تجاور فحسب، وإنّما علاقة تأثير متبادل تحكمها خصائص الحروف ومواقعها في السّياق الكلاميّ. ومن ثمّ فإنّ التّخفيف عند ابن جنيّ ليس غاية مستقلّة، وإنّما نتيجة طبيعيّة لتقارب الأصوات وانخفاض الكلفة النطقيّة النّاتجة عن هذا التّقارب.

ويتوافق هذا التّحليل مع ما تقرّره اللسانيّات الحديثة من أنّ المماثلة الصوتيّة تنشأ عن ميل أعضاء النّطق إلى تقليل الحركات المتعاقبة، وذلك بتوحيد بعض السّمات الصوتيّة بين الأصوات المتجاورة؛ غير أنّ هذا التّوافق ينبغي أن يفهم في إطار التّقارب في النّتائج، لا التّطابق في المنهج؛ إذْ اعتمد علماء العربيّة على الاستقراء اللغويّ وملاحظة الأداء، في حين تستند اللسانيّات الحديثة إلى نظريّات الفونولوجيا ونتائج الدّراسات التجريبيّة في علم الأصوات.

كما تتجلّى العلاقة بين الإدغام والمماثلة الصوتيّة أيضاً في تصنيف علماء العربيّة للإدغام إلى إدغام المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين. فإدغام المتماثلين يمثّل أعلى درجات المماثلة؛ لاتّحاد الصوتين في المخرج والصّفة، بينما يقوم إدغام المتجانسين والمتقاربين على اشتراك الحرفين في بعض الخصائص الصوتيّة، وهو ما يسمح بانتقال أثر أحدهما إلى الآخر بدرجات متفاوتة. وهذا التّصنيف التراثيّ يلاحظ فيه أنّه ينسجم في جوهره مع تصنيف اللسانيّين المعاصرين للمماثلة بحسب درجة التّشابه بين الأصوات، وإن اختلفت المصطلحات والإطار النظريّ.

ويؤكّد ذلك أنّ كثيراً من تعليلات اللغويّين القدماء للإدغام تدور حول مفاهيم مثل: تقارب المخارج، وتشابه الصّفات، وطلب الخفّة، وهي مفاهيم تمثّل– في ضوء التّحليل اللسانيّ– الأسس التي تقوم عليها ظاهرة المماثلة الصوتيّة؛ إلّا أنّ خصوصيّة الدّرس العربيّ تكمن في أنّه لم ينظر

إلى الإدغام باعتباره ظاهرة تجريديّة، وإنّما ربطه بالاستعمال اللغويّ الموثوق، ولا سيّما القراءات القرآنيّة وكلام العرب الفصحاء، وهو ما أكسب تحليلاته طابعاً وصفيّاً دقيقاً.

وعليه، نخلص إلى القول بأنّ الإدغام يمثّل التّطبيق الأبرز للمماثلة الصوتيّة في العربيّة، وأنّ العلماء واللغويّين قديماً قد أدركوا الأسس التي تقوم عليها هذه الظّاهرة من خلال حديثهم عن تقارب المخارج وتشابه الصّفات وطلب التّخفيف، وإن لم يستخدموا مصطلح المماثلة الصوتيّة بصيغته الحديثة. كما يظهر أنّ المقارنة بين التصوّرين التراثيّ واللسانيّ تكشف عن تقارب في تفسير الظّاهرة من حيث نتائجها، مع اختلاف واضح في المنهج والأدوات والمفاهيم.

المبحث الثّاني: الأسس الصوتيّة لظاهرة الإدغام

أوّلاً: التّخفيف والاقتصاد النطقيّ:

لا يمكن تفسير ظاهرة الإدغام في العربيّة بمعزل عن المبادئ العامّة التي تحكم إنتاج الكلام؛ إذْ تمثّل هذه الظّاهرة استجابة طبيعيّة لما يقتضيه الأداء اللغويّ من تقليل الجهد العضليّ وتحقيق الانسيابيّة في انتقال أعضاء النّطق بين الأصوات المتجاورة؛ ومن ثمّ فإنّ الإدغام لم يكن في تصوّر اللغويّين مجرّد قاعدة تجويديّة أو صرفيّة؛ بل نتيجة مباشرةً لخصائص النّظام الصوتيّ وآليّات إنتاجه.

وقد جعل العلماء التّخفيف من أهمّ العلل التي يبنى عليها الإدغام؛ لأنّ النّطق بصوتين متماثلين أو متقاربين مع المحافظة على استقلال كلّ منهما يقتضي انتقالاً متكرّراً أو بقاء أطول لأعضاء النّطق في الموضع نفسه، وهو ما يفضي إلى زيادة الكلفة العضليّة؛ لذلك عدّ الإدغام وسيلة لاختزال هاتين الحركتين في حركة نطقيّة واحدة، تحقّق سهولة الأداء دون الإخلال بالبنية اللغويّة.

ويتّضح هذا التصوّر في معالجة سيبويه، إذْ جعل طلب الخفّة علّة مطّردة في أبواب الإدغام، وربط أحكامه بدرجة التّقارب بين الحروف وإمكان اندماجها في حركة نطقيّة واحدة (سيبويه، 1988، ج4، ص467). ولا يقتصر هذا التّعليل على ملاحظة وصفيّة، بل يكشف عن إدراك لطبيعة العلاقة بين البناء الصوتيّ والجهد المبذول في إنتاجه؛ فكلّما قلّت الانتقالات بين المخارج ازداد الأداء سلاسة ويسراً.

وقد سار ابن جنيّ في الاتّجاه نفسه، غير أنّه عمّق هذا التّعليل وربطه بطبيعة النّظام الصوتيّ العربيّ، فقرّر أنّ العرب تؤثر الأخفّ في كلامها، وأنّ كثيراً من الظّواهر الصوتيّة ترجع إلى الميل إلى التّخفيف وتقليل الكلفة في النّطق (ابن جنيّ، 1985، ج1، ص218؛ ج1، ص171). ومن هنا لا يفهم الإدغام عنده على أنّه حذف لصوت أو إلغاء لوظيفته، وإنّما هو إعادة تنظيم للحركة النطقيّة بما يحقّق الاقتصاد في الأداء مع بقاء القيمة اللغويّة محفوظة.

وتجد هذه الرّؤية التراثيّة ما يعضدها في علم الأصوات الحديث؛ إذْ يفسّر الفونيتيّون الإدغام في ضوء مبدأ الاقتصاد في الجهد النطقيّ (Economy of Articulatory Effort)، الذي يقرّر أنّ الجهاز النطقيّ يميل إلى تقليل الحركات العضليّة غير الضروريّة أثناء الكلام، وذلك بتوحيد بعض الحركات المفصليّة أو دمجها متى أمكن، من غير أن يؤدّي ذلك إلى غموض الرّسالة اللغويّة (Zsiga, 2013; Ladefoged & Johnson, 2015). وأنّ هذا المبدأ يعتبر أحد الأسس الفسيولوجيّة التي تفسّر شيوع الإدغام في لغات العالم، لا في العربيّة وحدها.

ومع ذلك، فإنّ تفسير الإدغام بالاقتصاد النطقيّ وحده لا يكفي؛ إذْ ليس كلّ موضع يحقّق فيه الإدغام خفّة يجوز فيه الإدغام في العربيّة؛ فقد قيّد اللغويّون وقوعه بجملة من الشّروط المتعلّقة بالمخارج والصّفات والبنية المقطعيّة، وهو ما يدلّ على أنّ التّخفيف يعمل داخل نظام صوتيّ منضبط لا على نحو مطلق؛ وهذه الملاحظة تظهر دقّة المنهج العربيّ في الموازنة بين سهولة الأداء والمحافظة على النّظام الصوتيّ للّغة.

ويتّصل هذا التّفسير بما يؤكّده علم الفونولوجيا من أنّ العمليّات الصوتيّة تتأثّر بقيود ترتبط ببنية الأصوات وبكيفيّة تنظيمها في الكلام، وأنّ بعض التحوّلات الصوتيّة يمكن تفسيرها بوصفها استجابات لمتطلّبات النّطق وسهولة الانتقال بين الوحدات الصوتيّة (Hayes, 2008; Lindblom, 1990).

ثانياً: الانسجام الصوتيّ:

لا يقتصر الإدغام على كونه وسيلة لتخفيف الجهد النطقيّ، بل يسهم كذلك في تحقيق قدر أعلى من الانسجام بين الأصوات داخل السّلسلة الكلاميّة؛ إذْ يؤدّي تقارب الحروف أو تماثلها إلى تقليل التّباين في الصّفات والمخارج، فتغدو البنية الصوتيّة أكثر تماسكاً واتّصالاً؛ فالانسجام الصوتيّ في الدّرس اللغويّ يمثّل أحد المبادئ التي تفسّر انتظام ظاهرة الإدغام في العربيّة، ويكشف عن ارتباطها بالبنية الفونولوجيّة للّغة لا بمجرّد سهولة الأداء.

وقد أدرك العلماء واللغويّون قديماً هذا المبدأ من خلال ملاحظتهم أنّ إمكان الإدغام يزداد كلّما اشتدّ التّقارب بين الحروف في المخرج أو الصّفة، ويتّضح ذلك في معالجة سيبويه؛ إذْ بنى أحكام الإدغام على درجات التّشابه بين الأصوات، ففرّق بين المتماثل والمتجانس والمتقارب، وجعل هذا التّقارب معياراً في جواز الإدغام أو امتناعه (سيبويه، 1988، ج4، ص445؛ ج4، ص474). ولا يفهم من هذا التّصنيف مجرّد ترتيب للأصوات، بل إنّه يعكس إدراكاً للعلاقة بين الخصائص النطقيّة للحروف وأثرها في إمكان اندماجها داخل السّياق الكلاميّ.

ويؤكّد ابن يعيش هذا المعنى في شرحه للمفصّل، حين أشار إلى أنّ الغاية من الإدغام هي أن يصير اللّفظ بالحرفين كالحرف الواحد، قال: "ومعناه في الكلام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرّك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدّة اتّصالهما كحرف واحد" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص512). فهذا التّعليل يدلّ على أنّ الإدغام لا يهدف إلى حذف صوت أو إضعافه، وإنّما إلى إعادة تنظيم العلاقة بين الصّوتين المتجاورين بما يحقّق وحدة صوتيّة أكثر تماسكاً. وعليه، نجد أنّ اندماج الحرفين في الأداء يمثّل صورة من صور إعادة التّوازن داخل البنية الصوتيّة، حيث يزول التّعارض بين الحركتين المفصليّتين ليحلّ محلّهما فعل نطقيّ واحد.

ويتّفق هذا التصوّر مع ما تشيره اللسانيّات الحديثة من أنّ الأصوات المتجاورة لا تنطق بمعزل بعضها عن بعض، بل يحدث بينها تأثير متبادل نتيجة التّداخل الطبيعيّ في الحركات المفصليّة (Coarticulation)، وعندما يبلغ هذا التأثّر درجة كبيرة يكتسب أحد الصّوتين خصائص الآخر أو يندمج فيه، وهي العمليّة التي تعرف في الفونولوجيا باسم المماثلة الصوتيّة (Assimilation). (Odden, 2013; Ladefoged & Johnson, 2015). ومن هذا المنظور، يمكن تفسير الإدغام بوصفه النّتيجة القصوى لهذا التّفاعل الصوتيّ، حيث يتحقّق أعلى مستويات الانسجام بين الأصوات المتجاورة.

غير أنّ الانسجام الصوتيّ في العربيّة لا يقوم على مجرّد التّشابه الفيزيائيّ بين الأصوات، بل تحكمه ضوابط النّظام الصوتي للّغة؛ ولذلك لم يجز اللغويّون الإدغام في كلّ صوتين متقاربين، وإنّما اشترطوا قيام علاقة صوتيّة تسمح بالاندماج من غير أن يختلّ النّظام الفونولوجيّ أو يلتبس اللّفظ؛ وهذا ما يفسّر امتناع الإدغام في بعض المواضع رغم وجود قدر من التّقارب بين الحروف إذا كانت هناك صفة صوتيّة تحول دون ذلك، كما في بعض الأصوات التي تتميّز بخصائص نطقيّة لا يحتملها الإدغام.

وتتأكّد صلة الإدغام بمبدأ الانسجام الصوتيّ في الدّرس الصوتيّ الحديث؛ إذْ يرى إبراهيم أنيس أنّ الأصوات اللغويّة تتأثّر بعضها ببعض عند التّجاور، وأنّ هذا التأثّر يهدف إلى زيادة التّقارب بينها في المخارج أو الصّفات، بما يفضي إلى تحقيق قدر من الانسجام الصوتيّ في الكلام (أنيس، 1971، ص179–207). ومن ثمّ، لا يكون الانسجام الصوتيّ أثراً لاحقاً للإدغام فحسب، بل يمثّل كذلك أحد العوامل المهيّئة لحدوثه؛ إذْ إنّ تقارب الأصوات في مخارجها أو صفاتها يسهّل تأثّر بعضها ببعض، وقد ينتهي هذا التأثّر إلى الإدغام. وهذا التصوّر يكشف عن صلة وثيقة بين ما أشار إليه اللغويّون القدماء في تعليل الإدغام بالتّقارب والمشابهة، وما انتهى إليه الدّرس الصوتيّ الحديث في تفسير التأثّر بين الأصوات المتجاورة.

ومن هنا يتبيّن أنّ الانسجام الصوتيّ يمثّل أحد الأسس الجوهريّة للإدغام؛ إذْ يسهم في تفسير ميل الأصوات المتجاورة إلى التّقارب أو الاندماج داخل السّلسلة الكلاميّة، وأنّ اللغويّين قد أدركوا هذا المبدأ من خلال ربطهم الإدغام بتقارب المخارج والصّفات، بينما فسّرته اللسانيّات الحديثة في إطار التّفاعل بين الأصوات وآليّات الإنتاج الكلاميّ؛ ويؤكّد هذا التّوافق أنّ الإدغام ليس ظاهرة عرضيّة، بل مظهر من مظاهر انتظام النّظام الصوتيّ العربيّ، وهو ما يفسّر دقّة الضّوابط التي التزم بها القرّاء واللغويّون في توجيه ظواهر الإدغام.

ثالثاً: أثر المخارج والصّفات في الإدغام:

تؤدّي المخارج والصّفات دورًا أساسيّاً في تحديد إمكان الإدغام ودرجته؛ إذْ تتفاعل الخصائص المخرجيّة والصفاتيّة للأصوات في تحديد مدى قابليّتها للتّقارب والتأثّر المتبادل؛ وقد عني الدّرس الصوتيّ الحديث بوصف الأصوات من حيث مواضع نطقها وكيفيّة إنتاجها والخصائص التي تميّز بعضها من بعض، وهي عناصر تؤثّر في طبيعة العلاقات الصوتيّة بين الأصوات المتجاورة (بشر، 2000، ص46–47). كما أنّ علماء العربيّة عنوا كذلك بوصف مخارج الحروف وصفاتها، وربطوا بين درجة التّقارب بينها وبين إمكان الإدغام؛ فكلّما قوي التّشابه في المخرج أو الصّفة تهيّأت البيئة الصوتيّة للتّقارب والإدغام.

ويتّضح هذا المنهج في تصنيفهم للإدغام إلى إدغام المتماثلين، والمتجانسين، والمتقاربين؛ وهو تصنيف لا يقتصر على الجانب التعليميّ، بل يعكس تصوّراً دقيقاً لدرجات التّقارب بين الأصوات. فإدغام المتماثلين يمثّل أعلى درجات الائتلاف الصوتيّ؛ لاتّحاد الحرفين في المخرج والصّفة، بينما يقوم إدغام المتجانسين على اتّفاقهما في المخرج مع اختلافهما في بعض الصّفات، أمّا إدغام المتقاربين فيتحقّق عندما تتقارب الحروف في مخارجها أو في بعض خصائصها النطقيّة، وإن لم تبلغ حد التّماثل الكامل. ويكشف هذا التدرّج عن أنّ اللغويّين لم ينظروا إلى الإدغام بوصفه ظاهرة واحدة، وإنّما بوصفه عمليّة تخضع لدرجات متفاوتة من التّقارب الصوتيّ.

وقد أبرز ابن جنيّ هذه الحقيقة– في كتابه الخصائص– حين جعل حسن الإدغام مرتبطاً بقرب الحروف في مخارجها وصفاتها، وعدّ هذا التّقارب أساساً في تفسير اختلاف أحكام الإدغام بين الحروف (ابن جنيّ، 1385هـ، ج2، ص474). ولا يقتصر هذا التّعليل على بيان سبب الجواز أو المنع، بل يشير إلى إدراك للدّور الذي تؤدّيه الخصائص النطقيّة في تنظيم العلاقات بين الأصوات داخل النّظام اللغويّ.

ويتأكّد هذا التصوّر عند ابن يعيش في تحليله لمسائل الإدغام في شرح المفصّل؛ إذْ لا يكتفي ببيان وقوع الإدغام أو امتناعه، وإنّما يعلّل ذلك بخصائص الحروف من حيث المخارج والصّفات، فيوازن بين صفات مثل الجهر والهمس، والشدّة والرّخاوة، والاستعلاء والاستفال، والتّكرير والاستطالة

والتفشّي، ويرى أنّ هذه الصّفات قد تعزّز إمكان الإدغام أو تمنعه، وإن تقاربت الحروف في مخارجها. ومن ثمّ، فإنّ الحكم على الإدغام عنده لا يقوم على عامل واحد، وإنما على التّفاعل بين موضع النّطق والسّمات الصوتيّة المميّزة لكلّ حرف.

وهذه الرّؤية تلتقي مع ما ذهبت إليه اللسانيّات الصوتيّة الحديثة؛ إذْ فسّرت ظاهرة الإدغام في ضوء انتقال السّمات الفونولوجيّة (Feature Spreading) بين الأصوات المتجاورة، وهو انتقال تحكمه درجة التّشابه في موضع النّطق (Place of Articulation) وكيفيّة النّطق (Manner of Articulation)، إضافة إلى بعض السّمات الأخرى مثّل الجهر والأنفيّة (Voicing) و(Nasality). (Odden, 2013; Gussenhoven & Jacobs, 2017).

غير أنّ المقارنة بين التصوّرين تكشف عن فرق منهجيّ مهمّ، وهو أنّ اللغويّين القدماء انطلقوا من ملاحظة الأداء اللغويّ واستقراء كلام العرب والقراءات القرآنيّة، ثمّ استنبطوا القواعد المنظّمة للإدغام، في حين اعتمد التّحليل اللسانيّ الحديث على مفهوم السّمات الفونولوجيّة بوصفها وحدات تجريديّة تفسّر العلاقات بين الأصوات. ومع ذلك فإنّ كلا الاتّجاهين يلتقي في تقرير أنّ الإدغام ليس ظاهرة اعتباطيّة، بل نتيجة مباشرة للعلاقات التي تربط بين المخارج والصّفات داخل النّظام الصوتيّ.

وعليه، يمكننا القول بأنّ المخارج والصّفات تمثّلان الإطار الصوتيّ الذي تنتظم في ضوئه أحكام الإدغام؛ فكلّما ازداد التّشابه بين الحروف في خصائصها النطقيّة، ازدادت قابليّة أحدها للتأثّر بالآخر أو الاندماج فيه؛ وهذا ما أشار إليه اللغويّون من خلال تحليلهم الدّقيق لدرجات التّقارب بين الأصوات، وهو ما ينسجم مع ما تشير إليه الفونولوجيا الحديثة بشأن انتقال السّمات الصوتيّة بين الأصوات المتجاورة، مع اختلاف المنهج والمصطلحات.

المبحث الثّالث: ظواهر الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء في ضوء شرح المفصّل لابن يعيش

يمثّل ما أورده ابن يعيش في شرح المفصّل عن إدغامات أبي عمرو بن العلاء مادّة علميّة ذات قيمة خاصّة؛ لأنّها لا تقتصر على نقل وجوه الأداء، بل تتضمّن مناقشة صوتيّة لأسباب الإدغام ومسوّغاته، مع عرض آراء النحويّين والقرّاء في كثير من المسائل. ومن خلال هذه النّصوص يتبيّن أنّ اختيارات أبي عمرو لم تكن قائمة على التوسّع في الإدغام أو الخروج عن القياس، وإنّما استندت إلى تصوّر صوتيّ يوازن بين الخصائص النطقيّة للأصوات ومتطلّبات الأداء القرآنيّ. كما تكشف هذه الاختيارات عن مرونة في تطبيق القواعد الصوتيّة؛ إذْ لم يقتصر أبو عمرو على القياس البصريّ في جميع المواضع، بل راعى – في بعض الحالات– درجات التّقارب بين الحروف، وما يحقّقه الإدغام من انسجام في السّياق الصوتيّ، وهو ما يمنح هذه الظّواهر أهميّة خاصّة عند مقارنتها بمفاهيم الفونولوجيا الحديثة.

أوّلاً: إدغام (الحاء في العين):

من المواضع التي أثارت نقاشاً بين علماء العربيّة قديماً ما نقل عن أبي عمرو بن العلاء من إدغام (الحاء في العين) في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ [آل عمران: 185]، (أبو شامة، 1982، ص91؛ الدّاني، 1984، ص23). فقد أورد ابن يعيش هذه القراءة، ثمّ نقل اعتراض سيبويه عليها، مبيّناً أنّ إدغام (الحاء في العين) ضعيف؛ لأنّ الحاء أقرب إلى الفم، في حين تقع العين في موضع أعمق من الحلق، والإدغام– عنده– إنّما يكون في الحرف الأدخل في الحلق، لا العكس (ابن يعيش، 2001، ج5، ص533).

ولا ينبغي أن يفهم وصف سيبويه لهذا الإدغام بالضّعف على أنّه طعن في القراءة أو إنكار لثبوتها، وإنما هو حكم مبنيّ على أصوله في القياس الصوتيّ، قال في الكتاب: "ولم تدغم الحاء في العين في قولك: امدح عرفة؛ لأنّ الحاء قد يفرّون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، وهي مثلها في الهمس والرّخاوة مع قرب المخرجين... ولم تقو العين على الحاء إذْ كانت هذه قصّتها، وهما من المخرج الثّاني من الحلق، وليست حروف الحلق بأصل للإدغام" (سيبويه، 1988، ج4، ص451)؛ فهو يرى أنّ اتّجاه الإدغام ينبغي أن ينسجم مع التدرّج الطبيعيّ للمخارج، بحيث ينتقل النّطق من الموضع الخارجيّ إلى الموضع الداخليّ، لما يحقّقه ذلك من انتظام في الحركة المفصليّة؛ ومن هنا فإنّ اعتراضه ينصرف إلى التّوجيه الصوتيّ للإدغام، لا إلى أصل الرّواية.

أمّا أبو عمروبن العلاء– كما فهم ابن يعيش، قال في شرح المفصّل: "ووجهه أنّه راعى التّقارب في المخرج" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص534)– فقد بنى هذا الوجه على التّقارب الحلقيّ بين الحرفين، إذ تنتمي (الحاء والعين) إلى مجموعة الأصوات الحلقيّة، ويجمعهما اشتراك في الحيّز المفصليّ العامّ، وإن اختلف موضع كلّ منهما داخل هذا الحيّز. ولذلك رأى أنّ هذا القدر من التّقارب يكفي لتسويغ الإدغام، ولا سيّما إذا كان من شأنه أن يحقّق انسياباً أكبر في الأداء. وهذا التّعليل يدلّ على أنّ أبا عمرو لم يجعل اتّحاد المخرج شرطاً لازماً للإدغام، بل اكتفى أحياناً بدرجة معتبرة من التّقارب النطقيّ إذا لم يترتّب عليها إخلال بالوضوح الصوتيّ.

ويظهر هذا المثال كذلك اختلافاً في منهج النّظر إلى الظّاهرة الصوتيّة؛ فسيبويه ينطلق من بناء قاعدة عامّة تضبط جميع صور الإدغام، ولذلك كان أكثر تحفّظاً في قبول ما يخرج عن القياس. أمّا أبو عمرو– بوصفه إماماً في القراءة– فقد كان ينظر إلى الأداء من خلال الاستعمال المرويّ، ويجيز بعض الوجوه التي يسندها النّقل الصّحيح، إذا وجد لها مسوّغاً صوتيّاً مقبولاً. فالاختلاف بينهما ليس اختلافاً في أصل الظّاهرة، وإنّما في مدى اتّساع القياس الصوتيّ وحدوده.

وفي ضوء اللسانيّات الحديثة، يمكن تفسير هذا الإدغام في إطار المماثلة الصوتيّة الجزئيّة (Partial Assimilation)؛ إذْ يشترك الصّوتان في المجال الحلقيّ ممّا يهيّئ لانتقال بعض السّمات النطقيّة من أحدهما إلى الآخر، دون أن يتحقّق تماثل كامل بينهما. ويقرّر علم الأصوات أنّ التّقارب في موضع النّطق (Place of Articulation) يعدّ من أهمّ العوامل التي تزيد من احتمال التأثّر المتبادل بين الأصوات المتجاورة، حتّى وإن اختلفت بعض خصائصها الأخرى (Odden, 2013; Ladefoged & Johson, 2015). غير أنّ هذا التّفسير لا يعني أنّ كلّ صوتين حلقيّين يقبلان الإدغام؛ لأنّ تحقّق الإدغام يظلّ رهيناً بالنّظام الفونولوجيّ الخاصّ بكلّ لغة وبالقيود التي تحكم توزيع الأصوات فيها.

كما تبرز أهميّة هذا الشّاهد في أنّه يوضّح أنّ أبا عمرو كان يراعي درجة التّقارب الصوتيّ أكثر من مراعاته للتّقسيم الجامد للمخارج، وهو ما يفسّر قبوله وجهاً لم يجر عليه القياس البصريّ. كما يؤكّد أنّ تعليلات ابن يعيش لا تقتصر على نقل الخلاف، بل تسعى إلى الكشف عن الأساس الصوتيّ الذي يمكن أن يفسّر هذا الاختيار، الأمر الذي يجعل شرحه مصدراً مهمّاً لدراسة الفكر الصوتيّ العربيّ في ضوء المناهج اللسانيّة الحديثة.

ثانياً: إدغام (الجيم في الشّين والتّاء):

إنّ إدغام (الجيم في الشّين والتّاء) شاهد مهمّ على تفاوت درجات التّقارب الصوتيّ في الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء، وهو يكشف عن عناية ابن يعيش بالمخرج والصّفة في تفسير إمكان الإدغام أو منعه، قال في شرح المفصّل: "وأمّا الجيم، فإنّها تدغم في مثلها، نحو: أَخْرِجْ جَّمَلَكَ، ولا إشكال في ذلك لاتّحاد المخرج، وعدم ما يمنع من ذلك" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص537). أيْ إنّ إدغام (الجيم في الجيم) يمثّل حالة الإدغام بين المتماثلين، ولا يحتاج إلى تعليل يتجاوز اتّحاد المخرج وانتفاء المانع الصوتيّ؛ إذْ يؤدّي التّماثل الكامل بين الصّوتين إلى توحيد الأداء النطقيّ بينهما.

وأمّا إدغام (الجيم في الشّين) فإنّ تعليله يقوم على قرب المخرجين، قال ابن يعيش: "وتدغم في الشّين، نحو: أخرج شَّبثًا. قال الله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ [الفتح: 29]– (أبو شامة، 1982، ص91؛ الدّاني، 1984، ص23)– وذلك لقرب مخرجيهما، ولم يذكر سيبويه إدغامها في غير هذين الحرفين" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص537). فهذا التّعليل يدلّ على أنّ العلاقة الصوتيّة بين الجيم والشّين تتيح انتقالاً نطقيّاً أكثر سهولة، وإن لم يصل الأمر إلى درجة التّماثل الكامل. وعليه، فإنّ إدغام (الجيم في الشّين) ينتقل من دائرة التّماثل إلى دائرة التّقارب، مع بقاء العلاقة المخرجيّة أساساً في تسويغ الإدغام.

غير أنّ الرّواية المنقولة عن أبي عمرو بن العلاء تتجاوز هذا النّطاق إلى إدغام (الجيم في التّاء)، وهو موضع أكثر دقّة من النّاحية الصوتيّة؛ يقول ابن يعيش: "وروى اليزيديّ عن أبي عمرو إدغامها في التّاء في قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ﴾ [المعارج: 4]- (أبو شامة، 1982، ص91؛ الدّاني، 1984، ص23)- لأنّها وإن لم تقارب الجيم التّاء، فإنّ الجيم أخت الشّين في المخرج، والشّين فيها تفشّ يصل إلى مخرج التّاء؛ فلذلك ساغ إدغامها فيها" (ابن يعيش، 2001، ج5، 537).

هذا التّعليل- كما في النصّ السّابق- يوضّح أنّ إمكان الإدغام لا يتوقّف بالضّرورة على التّقارب المباشر بين الحرفين؛ فقد يتحقّق التّقارب بطريق غير مباشر من خلال صفة صوتيّة مشتركة أو ممتدّة، وهذا ما أشار إليه ابن يعيش أن الجيم والتّاء لا تتقاربان إنّما تربط بينهما الشّين؛ فـ(الجيم والشّين) متقاربان في المخرج، والشّين تمتاز بصفة التفشّي، وهي صفة ذات امتداد في الحيّز الفمويّ، فربط ابن يعيش بين هذا الامتداد ومخرج التّاء وعدّه مسوّغاً لإدغام الجيم فيها؛ وبذلك ندرك أنّ تفسير هذه الرّواية لا يقوم على التّقارب المخرجيّ المباشر، وإنّما على تداخل المخرج والصّفة في تشكيل العلاقة الصوتيّة بين الأصوات.

وتكمن أهميّة هذا الشّاهد في أنّه يكشف أيضاً عن مرونة التّحليل الصوتيّ عند ابن يعيش في تفسير قراءة أبي عمرو؛ فهو لا يكتفي بالحكم على الإدغام من خلال المسافة المخرجيّة بين الصّوتين، بل يستحضر أيضاً الخصائص الصفاتيّة للصّوت الوسيط وأثرها في تقريب الأصوات؛ أيْ إنّ إدغام (الجيم في التّاء) يمثّل درجة متقدّمة من التّفاعل الصوتيّ، إذ تنتقل العلاقة من التّماثل في (الجيم والجيم)، إلى التّقارب المخرجيّ في (الجيم والشّين)، ثمّ إلى تقارب غير مباشر في (الجيم والتّاء) بوساطة العلاقة بين الجيم والشّين وصفة التفشّي في الشّين.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ هذا الشّاهد يؤكّد أنّ تفسير الإدغام عند أبي عمرو- كما عرضه ابن يعيش- يقوم على تدرّج في العلاقات الصوتيّة تتداخل فيه المخارج والصّفات، ولا تنحصر فيه علّة الإدغام في اتّحاد المخرج أو التّقارب المباشر بين الصوتين. وهذه النّتيجة ذات أهميّة في تحليل اختيارات أبي عمرو؛ لأنّها تكشف عن أنّ الظّاهرة الإدغاميّة في قراءته يمكن أن تتأسّس على علاقات صوتيّة دقيقة تتجاوز المماثلة المباشرة إلى التّأثير المتبادل بين موضع النّطق والخصائص الصوتيّة للأصوات المتجاورة.

كما يمكن تفسير هذا الشّاهد- في ضوء علم الأصوات- من خلال مفهوم السّمات المميّزة (Distinctive Features)؛ إذ لا تقوم العلاقة بين الأصوات على موضع النّطق وحده، وإنّما تتحدّد كذلك بمجموعة السّمات التي يحملها كلّ صوت، والتي قد تنتقل أو تتأثّر عند التّجاور إذا سمح النّظام الفونولوجيّ بذلك. ومن هذا المنطلق، فإنّ صفة التفشّي تعدّ سمة ذات أثر في السّلوك الإدغاميّ

للصّوت؛ لأنّها توسّع المجال النطقيّ وتزيد من إمكان التّفاعل مع الأصوات المجاورة (Odden, 2013; Gussenhoven & Jacobs, 2017).

ثالثاً: إدغام (الضّاد في الشّين):

يمثّل إدغام (الضّاد في الشّين) أحد أكثر المواضع دقّة في تعليلات ابن يعيش؛ لأنّه يثير إشكالاً يتعلّق بتعارض الخصائص الصوتيّة للحرفين، ولا سيّما ما تنفرد به الضّاد من صفات تجعلها من أكثر أصوات العربيّة تميّزاً. ولذلك عدّ سيبويه إدغام الضّاد في غير مثلها ممتنعاً، معلّلاً ذلك بأنّ الإدغام يؤدّي إلى زوال صفة الاستطالة، وهي من السّمات الجوهريّة التي تقوم عليها هويّة هذا الصّوت في العربيّة (سيبويه، 1988، ج4، ص466–470).

وعلى الرّغم من هذا الأصل القياسيّ فإنّ ابن يعيش نقل عن أبي عمرو بن العلاء إدغام (الضّاد في الشّين) في قوله تعالى: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ [النّور: 62]، (أبو شامة، 1982، ص92؛ الدّاني، 1984، ص23). ثمّ سعى إلى توجيه هذا الوجه توجيهاً صوتيّاً، قال: "ووجهه أنّ الشّين أشدّ استطالة من الضّاد، وفيه تفشٍّ ليس في الضّاد، فقد صارت الضّاد أنقص منها، وادغام الأنقص في الأزيد جائز" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص439)، فبيّن أنّ الشّين تمتلك خصائص نطقيّة تجعلها أكثر قدرة على استيعاب الضّاد؛ إذْ تجمع بين التفشّي والامتداد في المجرى الهوائيّ، الأمر الذي يهيّئ لاندماج الضّاد فيها دون أن يختلّ انتظام الأداء.

ويوضّح هذا التّعليل أنّ ابن يعيش لم يقصر تفسير الإدغام على التّقارب في المخارج، وإنّما نظر كذلك إلى تفاعل الصّفات الصوتيّة عند التقاء الحروف. فالمعيار الحاكم هنا ليس مجرّد قرب المخرج، بل قدرة الصّوت المدغم فيه على المحافظة على تماسك البنية الصوتيّة بعد الإدغام. ومن ثمّ، فإنّ الشّين لم تقدّم لأنّها أقرب إلى الضّاد فحسب، وإنّما لأنّها تمتلك من الخصائص الصوتيّة ما يجعلها أكثر ملاءمة لاستقبال هذا الإدغام.

كما أنّ تعليل ابن يعيش لهذه الظّاهرة لا ينفي ما ذهب إليه سيبويه من خصوصيّة الضّاد، وإنّما يفسّر وجه أبي عمرو في ضوء خصائص الشّين نفسها، وهو ما يعكس اختلافاً في زاوية النّظر أكثر ممّا يعكس تعارضاً في الأصل الصوتيّ. فسيبويه يجعل المحافظة على الصّفات المميّزة للضّاد هي الأصل، في حين ينظر أبو عمرو– كما يفهم من توجيه ابن يعيش– إلى ما يتيحه السّياق الصوتيّ من إمكانات تبرّر الإدغام دون أن يفضي ذلك إلى اضطراب الأداء.

ويمكن تفسير هذا الشّاهد من خلال مفهوم انتقال السّمات الفونولوجيّة (Feature Spreading)؛ إذْ يؤدّي التّجاور بين الصّوتين إلى انتقال بعض الخصائص النطقيّة من الصّوت الأقوى تأثيراً إلى الصّوت المجاور، بما يحقّق قدراً أكبر من التّجانس داخل السّلسلة الكلاميّة

(Odden, 2013; Gussenhoven & Jacobs, 2017). غير أن هذا الانتقال لا يحدث على نحو مطلق، بل يخضع للقيود التي يفرضها النّظام الفونولوجيّ لكلّ لغة، وهو ما يفسّر اقتصار هذا الوجه على مواضع محدّدة في القراءة، وعدم تحوّله إلى قاعدة عامّة في العربيّة.

رابعاً: إدغام (الرّاء في اللّام):

إدغام (الرّاء في اللّام) إحدى أدقّ المسائل التي تناولها اللغويّون في باب الإدغام؛ لأنّها تتعلّق بصوتين متقاربين في المخرج، غير أنّ أحدهما يتميّز بصفة صوتيّة جعلت بعض النحويّين يتردّدون في إجازة إدغامه في الآخر، وهذا ما يجعلنا نفهم أيضاً أنّ التّقارب النطقيّ وحده لا يكفي للحكم بجواز الإدغام، بل لا بدّ من مراعاة أثر الصّفات المميّزة لكلّ صوت.

وقد ذهب سيبويه إلى منع إدغام (الرّاء في اللّام والنّون)، معلّلاً ذلك بما تنفرد به الرّاء من صفة التّكرير، وهي صفة تنتج عن حركة سريعة لطرف اللّسان عند النّطق بها، حتّى شبّهها بأنّها في قوّة حرفين؛ قال في الكتاب: "والرّاء لا تدغم في اللّام ولا في النّون لأنّها مكرّرة، وهي تفشّى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشّى في الفم مثلها ولا يكرّر" (سيبويه، 1988، ج4، ص448). فهو يرى أنّ الإدغام الكامل يؤدّي إلى زوال هذه الصّفة، وهذا ما يتعارض– في نظره– مع المحافظة على البنية الصوتيّة المميّزة للرّاء.

وقد نقل ابن يعيش خلاف النحويّين في هذه المسألة، فنقل عن أبي عمرو بن العلاء جواز إدغام (الرّاء في اللّام) في مواضع متعدّدة، قال في شرح المفصّل: "وحكى أبو بكر بن مجاهد عن أبي عمرو أنّه كان يدغم الرّاء في اللّام ساكنة كانت الرّاء أو متحرّكة، فالسّاكنة نحو قوله تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ [آل عمران: 16]، و﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 31]، والمتحرّكة قوله: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ﴾" [الحجّ: 65] (ابن يعيش، 2001، ج5، ص544؛ ابن خالويه، 1401هـ، ص80). ثمّ عرض هذا الوجه بوصفه قراءة مرويّة لها وجهها في الأداء.

ولا يظهر أنّ أبا عمرو قصد بهذا الإدغام إلغاء الخصائص الصوتيّة للرّاء، وإنّما يبدو أنّه رجّح ما يحقّقه الإدغام من انتظام في الأداء عند التقاء صوتين ذلقيين يعتمد نطقهما على طرف اللّسان. فـ(الرّاء واللّام) يشتركان في المجال النطقيّ العامّ، الأمر الذي يجعل الانتقال بينهما انتقالاً محدوداً من حيث الحركة العضليّة، ويهيّئ لاندماجهما في سياق الأداء المتّصل، ولا سيّما في التّلاوة.

وهذا الاختلاف يدلّ على تباين في المنهج أكثر منه اختلافاً في توصيف الظّاهرة؛ فسيبويه يجعل المحافظة على الصّفة المميّزة للرّاء أصلاً يحدّ من إمكان الإدغام، بينما ينظر أبو عمر– كما يفهم من توجيه ابن يعيش، إذْ يقول: "والحجّة في ذلك أنّ الرّاء إذا ادغمت في اللّام، صارت لاماً؛ ولفظ اللّام أسهل وأخفّ من أن تأتي براء فيها تكرير وبعدها لام، وهي مقاربة للفظ الرّاء، فيصير

كالنّطق بثلاثة أحرف من موضع واحد" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص544)– إلى التّوازن بين هذه الصّفة وبين ما يقتضيه السّياق الصوتيّ من انسجام وسلاسة في الأداء. وعليه فإنّ الخلاف بينهما لا يدور حول التّقارب في المخرج، وإنّما حول الأولويّة بين المحافظة على السّمة الصوتيّة المميّزة وتحقيق الانسيابيّة في النّطق.

وهذا النّوع من الإدغام هو ما يؤكّده علم الأصوات في إطار ما يعرف بالتّقارب النّطقيّ (Articulatory Proximity)؛ إذْ يؤدّي اشتراك الرّاء واللّام في موضع النّطق إلى تقليل المسافة الحركيّة التي يقطعها طرف اللّسان، وهو ما يزيد من احتمال تأثّر أحد الصّوتين بالآخر في أثناء الكلام المتّصل. غير أنّ هذا التّأثر يظلّ مقيّداً بقدرة النّظام الفونولوجيّ على المحافظة على السّمات المميّزة للأصوات وعدم إهدارها كليّة (Zsiga, 2013; Ladefoged & Johnson, 2015)؛ كما يبرز هذا الشّاهد أنّ أبا عمرو لم يكن يتوسّع في الإدغام على حساب الخصائص الصوتيّة للحروف، وإنّما كان يوازن بين السّمات النطقيّة للأصوات ومتطلّبات الأداء، وهو ما يكشف عن منهج صوتيّ مرن يجمع بين المحافظة على خصائص الحروف ومراعاة السّياق النطقيّ الذي ترد فيه.

خامساً: إدغام (الطّاء في التّاء):

إنّ إدغام (الطّاء في التّاء) يكشف لنا عن جانب آخر من التّفكير الصوتيّ عند أبي عمرو بن العلاء، ويتمثّل ذلك في أنّ الإدغام لا يقتضي بالضّرورة زوال جميع الخصائص الصوتيّة للحرف المدغم، بل قد يبقى بعضها حاضراً في الأداء؛ وأنّ هذه المسألة كما ناقشها اللغويّون تبرز للدّارس أنّ الإدغام في التصوّر العربيّ لم يكن انتقالاً آليّاً من صوت إلى آخر، وإنّما عمليّة صوتيّة تتفاوت درجاتها تبعاً لطبيعة الأصوات المتجاورة وخصائصها النطقيّة.

وقد ذكر ابن يعيش أنّ الطّاء تدغم في التّاء، واستشهد بقراءة أبي عمرو في قوله تعالى: ﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزّمر: 56]، مبيّناً أنّه أتى بالإدغام مع الإبقاء على صفة الإطباق، ثمّ نقل عن سيبويه جواز المحافظة على هذه الصّفة أو تركها، مع ملاحظته أنّ الإبقاء عليها أولى في بعض المواضع؛ لما بين الطّاء والدّال من اشتراك في الجهر، بخلاف التّاء التي تتّصف بالهمس، قال في شرح المفصّل: "وقرأ أبو عمرو: ﴿فَرَّطُّ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، بالادغام والإطباق. ويجوز إذهابه، إلّا أنّ إذهاب الإطباق مع الدّال أمثل قليلاً؛ لأنّ الدّال كالطّاء في الجهر، والتّاء مهموسة. قال سيبويه وكلّ عربيّ جيّد". (ابن يعيش،2001، ج5، ص457؛ سيبويه، 1988، ج4، ص460؛ الطبلاويّ، 2003، ج1، ص514).

يظهر هذا النصّ أنّ الإدغام عند أبي عمرو لا يعني ذوبان الحرف الأوّل ذوباناً تامّاً في الحرف الثّاني، وإنّما قد يصاحبه احتفاظ ببعض السّمات النطقيّة التي تعدّ جزءاً من الهويّة الصوتيّة

للحرف المدغم. فالإطباق من الصّفات المميّزة للطّاء، والمحافظة عليه بعد الإدغام تدلّ على أنّ الإدغام وقع في البنية المقطعيّة للكلمة، دون أن يؤدّي إلى محو جميع الخصائص النطقيّة للصّوت الأصليّ.

ومن اللّافت أنّ سيبويه لم يحصر الأداء في وجه واحد، بل أجاز بقاء الإطباق أو زواله، وهو ما يكشف عن إدراكه للطّبيعة المتدرّجة للظّواهر الصوتيّة، وأنّ تحقّقها قد يختلف باختلاف طرائق الأداء أو اللّهجات العربيّة. ويؤكّد هذا أنّ علماء العربيّة قديماً لم ينظروا إلى الإدغام بوصفه ظاهرة جامدة، وإنّما بوصفه عمليّة صوتيّة مرنة تتأثّر بخصائص الأصوات والسّياق الذي ترد فيه.

كما يمكن تفسير هذا الشّاهد في مجمل إطار المحافظة على السّمات المميّزة (Feature Preservation)؛ إذْ قد تنتقل بعض خصائص الصّوت المدغم إلى البنية النّاتجة عن الإدغام، فلا تزول جميع سماته في أثناء عمليّة المماثلة. كما يمكن تفسيره من خلال مفهوم الانتشار الجزئيّ للسّمات (Partial Feature Spreading)، حيث تنتقل بعض السّمات الفونولوجيّة دون غيرها تبعاً للعلاقة بين الصّوتين المتجاورين (Odden, 2013; Gussenhoven & Jacobs, 2017).

ويؤكّد لنا هذا الشّاهد أنّ أبا عمرو لم يكن ينظر إلى الإدغام بوصفه إلغاء للصّوت الأوّل، بل بوصفه إعادة تنظيم للعلاقة بين الصّوتين على نحو يحقّق سهولة الأداء، مع المحافظة– قدر الإمكان– على السّمات التي تميّز الحرف الأصليّ. ومن ثمّ، فإن اختياره يعكس تصوّراً صوتيّاً دقيقاً يقوم على الموازنة بين التّخفيف والمحافظة على البنية الصوتيّة، وهو تصوّر يلتقي في كثير من جوانبه مع ما تقرّره الفونولوجيا الحديثة في تحليل انتقال السّمات الصوتيّة بين الأصوات المتجاورة.

سادساً: إدغام (الميم في الباء):

ظاهرة إدغام (الميم في الباء) من القضايا التي تظهر دقّة اللغويّين في التّمييز بين الظّواهر الصوتيّة المتقاربة ولا سيّما الإدغام والإخفاء؛ إذْ ليست كلّ صورة يضعف فيها استقلال الصّوت الأوّل تعدّ إدغاماً بالمعنى الدّقيق، بل قد يكون التغيّر الصوتيّ واقعاً في منزلة وسطى بين الإدغام الكامل والإظهار، وهذا ما يتّضح من توجيه ابن يعيش لهذا الوجه من قراءة أبي عمرو.

وقد أشار سيبويه في الكتاب إلى أنّ الميم لا تدغم في غير مثلها؛ لأنّها تتميّز بالغنّة وهي صفة ملازمة لها، والإدغام الكامل يؤدّي إلى ذهاب هذه الصّفة، قال: "فالميم لا تدغم في الباء، وذلك قولك: أكرم به؛ لأنّهم يقلبون النّون ميماً في قولهم: العنبر؛ ومن بدا لك. فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرّون إليه من النّون لم يغيّروه، وجعلوه بمنزلة النّون، إذ كانا حرفي غنّة" (سيبويه، 1988، ج4، ص447). غير أنّ ابن يعيش نقل عن أبي عمرو إدغام (الميم في الباء) في مواضع متعدّدة، قال في شرح المفصّل: "وقد روي عن أبي عمرو ادغام الميم في الباء إذا تحرّك ما قبل الميم، مثل

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النّساء: 156]، و﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحجّ: 5]، و﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53]" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص550). ثمّ أورد ملاحظة ذات دلالة صوتيّة دقيقة، وهي أنّ أصحاب أبي عمرو لم يكونوا يأتون بباء مشدّدة، ولو كان الإدغام كاملاً لانقلبت الميم إلى باء مشدّدة، كما هو مقتضى القياس في الإدغام بين المتقاربين، قال: "وأصحاب أبي عمرو لا يأتون بباء مشدّدة. ولو كان فيه ادغام، لصار في اللّفظ باء مشدّدة؛ لأنّ الحرف إذا ادغم في مقارِبه، قلب إلى لفظه، ثمّ ادغم" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص550؛ ابن الجزريّ، ج1، ص222؛ أبو شامة، 1982، ص98).

فهذه الملاحظة تدلّ على منهج نقديّ واضح عند ابن يعيش؛ إذْ لم يكتف بنقل الرّواية وإنّما قارن بين صورتها المنقولة وما يقتضيه التّحليل الصوتيّ؛ ومن ثمّ انتهى إلى أنّ الأداء المنقول لا يحقّق شروط الإدغام الكامل، وهو ما يجعله أقرب إلى صورة من صور الإخفاء أو التّداخل الصوتيّ، مع بقاء أثر الغنّة في الأداء؛ قال: "قال ابن مجاهد: يترجِمون عنه بادغام، وليس بادغام، إنّما هو إخفاء، والإخفاء اختلاس الحركة، وتضعيف الصّوت. وعلى هذا الأصل ينبغي أن يحمل كلّ موضع يذكر القرّاء أنّه مدغم" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص550). وهذا التّحليل يشير إلى مدى إدراك العلماء واللغويّين القدامى الفروق الدّقيقة بين الظّواهر الصوتيّة، وعدم إطلاقهم مصطلح الإدغام على كلّ تغيّر ينشأ عن تجاور الأصوات.

ويبدو أنّ أبا عمرو راعى في هذه المواضع اشتراك (الميم والباء) في المخرج الشفويّ، وهو اشتراك ييسّر الانتقال بين الصّوتين في أثناء الأداء، من غير أن يستلزم ذوبان الميم ذوباناً تامّاً في الباء، وأنّ التّقارب الصوتيّ أسهم في تقليل الجهد النطقيّ مع بقاء السّمة الأنفيّة التي تميّز الميم، وهو ما يفسّر اختلاف هذا الوجه عن صور الإدغام الكامل التي تمّ عرضها في الشّواهد السّابقة.

كما يمكن تفسير هذه الظّاهرة في الدّرس الصوتيّ الحديث بوصفها صورة من التّداخل النطقيّ (Coarticulation) بين صوتين شفويّين، حيث يؤدّي الاشتراك في موضع النّطق إلى تقليل الحركة الانتقاليّة بينهما، مع استمرار حضور السّمة الأنفيّة المرتبطة بالميم. ويؤكّد هذا أنّ التّأثر بين الأصوات لا يفضي دائماً إلى اندماج كامل، بل قد يقتصر على قدر من التّقارب في الأداء مع احتفاظ كلّ صوت ببعض خصائصه المميّزة (Ladefoged & Johnson, 2015). وعليه، نجد أنّ أهميّة هذا الشّاهد لا تكمن في إثبات وقوع الإدغام أو نفيه، بقدر ما تكمن في إبراز وعي اللغويّين القدامى بالفروق الدّقيقة بين درجات التأثّر الصوتيّ، وهو وعي يلتقي مع ما تقرّره اللسانيّات الحديثة من أنّ التّفاعل بين الأصوات يمثّل طيفاً متدرّجاً لا ينحصر في ثنائيّة الإدغام والإظهار.

سابعاً: إدغام (الباء في الميم):

يختلف إدغام (الباء في الميم) عن الشّواهد السّابقة؛ لأنّ تعليله لا يقوم على التّقارب في المخارج أو الصّفات وحدهما، وإنّما يمتدّ إلى أثر السّياق الصوتيّ في توجيه الأداء. فقد ذكر ابن يعيش أنّ أبا عمرو كان يدغم (الباء في الميم) في نحو قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284]، ونظائره، ثمّ علّل هذا الاختيار بأنّ هذه المواضع لا تكاد ترد في القرآن إلا وقد سبقها أو لحقها موضع إدغام آخر، ولذلك وقع الإدغام فيها مراعاة للمشاكلة، قال في شرح المفصّل: "ويفعل ذلك بـ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ حيث وقع، ولا يفعل ذلك في مثل ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: 26] و﴿يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النّساء: 81]، بل يظهره. وإنّما خصّ الأوّل بالادغام من قبل أنّه لا يكاد يقع في القرآن إلّا وقبله أو بعده مدغم، نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284]، و﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: 21]، فأدغم للمشاكلة، ومن أصله مراعاة المشاكلة" (ابن يعيش، 2001، ج5، ص549؛ أبو شامة، 1982، ص99).

فهذا التّعليل يدلّ على أنّ المشاكلة عند ابن يعيش ليست مجرّد توافق لفظيّ، وإنّما مبدأ صوتيّ يسهم في تحقيق قدر من التّجانس بين البنى الصوتيّة المتجاورة أو المتتابعة في السّياق القرآنيّ. فالإدغام هنا لا يفسّر بخصائص (الباء والميم) وحدهما، وإنّما كذلك بانتمائهما إلى سياق صوتيّ تتكرّر فيه صور الإدغام، الأمر الذي يحقّق قدراً أكبر من انتظام الأداء وانسجامه.

ويمثّل هذا التّوجيه توسّعاً في تفسير الظّواهر الصوتيّة؛ إذْ لم يعد الحكم مرتبطاً بخصائص الحرفين في حدّ ذاتهما، بل أصبح السّياق عنصراً مؤثّراً في اختيار الوجه الأدائيّ. ويشير ذلك إلى أنّ أبا عمرو– كما فهمه ابن يعيش– لم يكن ينظر إلى الأصوات على أنّها وحدات مستقلّة، وإنّما كان يراعي تفاعلها داخل البنية الكليّة للتّلاوة، وهو ما يكسب الأداء قدراً من الاتّساق والإيقاع.

ويمكن تفسير هذا الشّاهد في إطار التّأثير السياقيّ في العمليّات الفونولوجيّة (Context-sensitive Phonological Processes)؛ إذْ لا تفسّر بعض الظّواهر الصوتيّة بعلاقة صوتين متجاورين فحسب، بل تتأثّر أيضاً بالنّمط الصوتيّ العامّ الذي تنتظم فيه الأصوات داخل السّياق الكلاميّ. ويقرّر علم الأصوات الوظيفيّ أنّ تكرار أنماط صوتيّة معيّنة قد يسهم في ترسيخ اختيارات أدائيّة تحقّق مزيداً من الانسجام والإيقاع في الكلام المتّصل، وهو ما يلتقي مع تعليل ابن يعيش القائم على مراعاة المشاكلة (Gussenhoven & Jacobs, 2017; Odden, 2013).

كما يكشف هذا الشّاهد أنّ تفسير الإدغام عند أبي عمرو لا يقف عند حدود التّقارب النطقيّ أو التّشابه في الصّفات، بل يمتدّ إلى مراعاة السّياق الصوتيّ الذي تنتظم فيه الأصوات، وهو ما

يظهر شمول نظرته إلى الأداء، ويؤكّد أنّ اختياراته كانت محكومة بمجموعة متداخلة من العوامل الصوتيّة لا بعامل واحد مستقلّ.

المبحث الرّابع: التّعليل الصوتيّ للإدغام عند أبي عمرو بن العلاء

أظهرت الشّواهد والنّصوص التي أوردها ابن يعيش في شرح المفصّل أنّ الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء لم يكن مجرّد وجه من وجوه الأداء القرائيّ، بل كان قائماً على تعليل صوتيّ منسجم يستند إلى فهم دقيق للعلاقات بين الأصوات وآليّات النّطق؛ وأنّ أهميّة هذه التّعليلات لا تقتصر على تفسير صور الإدغام الجزئيّة، وإنّما تتجاوز ذلك إلى الكشف عن المبادئ التي حكمت اختيارات أبي عمرو في الأداء، وهي مبادئ تتّصل بالتّخفيف، وتحقيق الانسجام بين الأصوات، ومراعاة السّياق الصوتيّ. وإذا كانت هذه المبادئ قد صيغت في التّراث بمصطلحاته الخاصّة، فإنّها تلتقي في كثير من جوانبها مع ما تقرّره اللسانيّات الصوتيّة الحديثة في تفسير العمليّات الفونولوجيّة، الأمر الذي يؤكّد عمق الوعي الصوتيّ عند العلماء واللغويّين القدامى، ويبرز قدرة التّراث اللغويّ على تقديم تفسيرات دقيقة للظّواهر النطقيّة.

أوّلاً: التّخفيف ودوره في توجيه ظاهرة الإدغام:

من أبرز المبادئ التي يمكن استنباطها من اختيارات أبي عمرو في الإدغام هو التّخفيف؛ إذْ تكشف تطبيقاته عن ميل واضح إلى تقليل الجهد المبذول في الانتقال بين الأصوات المتجاورة، بما يحقّق انسيابيّة الأداء من غير إخلال بالنّظام الصوتيّ للعربيّة. وليس المقصود بالتّخفيف مجرّد اختصار زمن النّطق، بل الاقتصاد في الحركة النطقيّة التي تبذلها أعضاء النّطق عند الانتقال من صوت إلى آخر، وهو ما يجعل الإدغام وسيلة لتحقيق الأداء الأسهل والأكثر انتظاماً.

ويتجلّى هذا المبدأ في عدد من المواضع التي سبق تحليلها، ولا سيّما في إدغام (الحاء في العين)، وإدغام (الرّاء في اللّام)، حيث لم يكن التّقارب بين الأصوات غاية في ذاته، وإنّما كان وسيلة لتقليل الانتقالات الصوتيّة التي يتطلّبها النّطق بالحرفين مستقلّين. ومن هنا، يمكن القول إنّ أبا عمرو كان ينظر إلى الإدغام بوصفه آليّة تؤدّي إلى إعادة تنظيم الحركة النطقيّة بما يحقّق الخفّة، متى وجد لذلك مسوّغاً صوتيّاً لا يخلّ بوضوح الأداء.

ويؤكّد ابن يعيش هذا الاتّجاه حين يفسّر بعض اختيارات أبي عمرو بمراعاة التّقارب بين المخارج، وهو تعليل يكشف أنّ مناط الإدغام عنده ليس مجرّد الرّواية، بل ما يتيحه هذا التّقارب من تخفيف في الأداء. كما أنّ مناقشته لاعتراض سيبويه في بعض المواضع تدلّ على أنّ الخلاف بينهما لم يكن حول قيمة التّخفيف نفسها، وإنّما حول مدى إمكان تقديمها على بعض القيود القياسيّة المرتبطة بخصائص الحروف وصفاتها.

ولا يخرج هذا التصوّر عمّا تقرّره اللسانيّات الصوتيّة الحديثة؛ إذْ ينظر إلى الإدغام بوصفه إحدى الوسائل التي يحقّق بها الجهاز النطقيّ الاقتصاد الحركيّ (Economy of Articulatory Effort)، حيث تميل أعضاء النّطق إلى تقليل الحركات الصوتيّة المتعاقبة إذا كان ذلك ممكناً دون الإخلال بالتّمييز بين الأصوات؛ ولذلك تعدّ عمليّات الإدغام من أكثر الظّواهر شيوعاً في اللّغات الطبيعيّة؛ لأنّها تعكس الميل الفسيولوجيّ إلى تبسيط الأداء وتقليل الجهد العضليّ المبذول أثناء الكلام (Ladefoged & Johnson, 2015).

غير أنّ ما يميّز منهج أبي عمرو هو أنّ التّخفيف لم يكن عنده غاية مستقلّة، بل ظلّ مقيّداً بضوابط النّظام الصوتيّ للعربيّة فلم يتوسّع في الإدغام توسّعاً مطلقاً، وإنّما أجازه حيث يسنده التّقارب النطقيّ أو التّشابه في الصّفات أو يقتضيه السّياق الصوتيّ، وهو ما يفسّر امتناعه عن بعض المواضع أو اختلافه مع غيره من القرّاء والنحويّين في تقدير إمكان الإدغام. وعلى هذا الأساس فإنّ التّخفيف في منهجه ليس مبدأً مطلقاً، بل عنصراً من عناصر منظومة صوتيّة متكاملة تتفاعل فيها خصائص الأصوات مع طبيعة السّياق النطقيّ لتحقيق التّوازن بين سهولة الأداء والمحافظة على البنية الصوتيّة للكلام.

ثانياً: تحقيق الانسجام بين الأصوات:

يمثّل الانسجام الصوتيّ أحد المبادئ المركزيّة التي يمكن استنباطها من اختيارات أبي عمرو بن العلاء في الإدغام؛ إذْ لا يقتصر الإدغام في منهجه على تحقيق التّخفيف فحسب، وإنّما يسعى كذلك إلى إيجاد قدر أكبر من التّآلف بين الأصوات المتجاورة، بما يجعل السّلسلة الكلاميّة أكثر اتّصالاً وانسياباً. وهذا يفسّر أنّ كثيراً من وجوه الإدغام التي اختارها لا تقوم على التّماثل التامّ بين الحروف، بل على وجود روابط صوتيّة تتيح تقاربها داخل البنية النطقيّة.

وتدلّ الشّواهد التي نقلها ابن يعيش على أنّ أبا عمرو كان ينظر إلى الانسجام بوصفه نتيجة للتّفاعل بين المخارج والصّفات معاً؛ فالتّقارب النطقيّ وحده لا يكفي لتفسير جميع صور الإدغام، كما أنّ الاشتراك في بعض الصّفات قد يرجّح الإدغام حتّى مع اختلاف المخارج. فالعلاقة بين الأصوات عنده تقوم على مبدأ التّكامل بين الخصائص النطقيّة والصّفات المميّزة، لا على معيار واحد منفرد.

ويظهر هذا بوضوح في توجيه إدغام (الجيم في الشّين)، ثمّ في (التّاء)، حيث لم يقتصر التّعليل على قرب المخرج، بل أضاف ابن يعيش أثر صفة التفشّي في (الشّين)، وعدّها عنصراً يسهم في تقريب (الجيم من التّاء)، وهو ما يكشف عن إدراك أنّ الصّفات الصوتيّة قد تؤثّر في إمكان الإدغام بقدر تأثير المخارج، بل قد ترجّح أحد الوجهين عند التردّد بين القياس والرّواية.

ويؤكّد هذا الاتّجاه إدغام (الضّاد في الشّين)؛ إذْ لم يجعل ابن يعيش مناط الجواز مجرّد الاشتراك في موضع النّطق، وإنّما ربطه بما تتميّز به (الشّين) من التفشّي، وما يترتّب عليه من قوّة صوتيّة تجعلها قادرة على استيعاب خصائص الصّوت المجاور. ويدلّ هذا التّعليل على أنّ أبا عمرو بن العلاء لم يكن يقف عند حدود التّقارب المكانيّ بين الأصوات، وإنّما كان يراعي التّفاعل بين خصائصها الوظيفيّة أثناء الأداء، وهو ما يعكس فهماً دقيقاً للبنية الداخليّة للصّوت العربيّ.

فاختيارات أبي عمرو بن العلاء تؤكّد أنّ تحقيق الانسجام الصوتيّ لم يكن غاية مستقلّة، بل كان جزءاً من رؤية صوتيّة متكاملة تراعي العلاقات بين المخارج والصّفات والسّياق الأدائيّ، بحيث يسهم كلّ عنصر منها في توجيه الإدغام حيث تقتضيه طبيعة النّظام الصوتيّ للعربيّة. وعليه، فإنّ تفسيره للإدغام يتجاوز الوصف الجزئيّ للظّواهر إلى إدراك المبادئ العامّة التي تحكم انتظام الأصوات في الكلام، وهو ما يبرز عمق التّحليل الصوتيّ في التّراث العربيّ، ويكشف عن نقاط التّلاقي بينه وبين التّحليل الفونولوجيّ الحديث.

وتتّفق هذه الرّؤية مع ما تقرّره اللسانيّات الصوتيّة الحديثة في تفسير المماثلة الصوتيّة (Assimilation)، التي تعدّ من أكثر العمليّات الفونولوجيّة شيوعاً في اللّغات الطبيعيّة؛ إذْ تميل الأصوات المتجاورة إلى اكتساب بعض خصائص بعضها بعضاً تحقيقاً للتّجانس وتقليلاً للتّباين النطقيّ. ولذلك ينظر إلى الإدغام بوصفه الصّورة القصوى للمماثلة، حيث يفقد أحد الصّوتين استقلاله الفونولوجيّ ليلتحم بالصّوت المجاور، مكوّناً وحدة صوتيّة واحدة أكثر انسجاماً من النّاحية النطقيّة والسمعيّة (Odden, 2013; Gussenhoven & Jacobs, 2017).

ثالثاً: أثر السّياق الصوتيّ في توجيه الإدغام:

يفهم من النّصوص السّابقة أنّ تفسير ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء لا يقتصر على خصائص الأصوات المفردة، ولا على مقدار التّقارب بين المخارج والصّفات، وإنّما يمتدّ إلى السّياق الصوتيّ الذي تتفاعل فيه الأصوات ضمن تتابعها الكلاميّ. وعلى هذا الأساس فإنّ الإدغام في منهجه لا يفهم بوصفه علاقة ثنائيّة بين صوتين متجاورين فحسب، بل بوصفه عمليّة صوتيّة تتأثّر بالبنية الكليّة للكلام، وما يفرضه السّياق من انتظام إيقاعيّ وتناسق أدائيّ.

وتتّضح هذه الرّؤية في تعليل ابن يعيش لإدغام (الباء في الميم) في نحو قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284]؛ إذْ لم يكتف ببيان التّقارب بين الصّوتين، بل ربط هذا الوجه بما أسماه مراعاة المشاكلة موضّحاً أنّ هذا التّركيب يرد في سياقات يكثر فيها الإدغام، مثل قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 284]، و﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: 21]، كما يوضّح هذا التّعليل انتقال

التّحليل من مستوى الحرف المفرد إلى مستوى السّياق الذي تنتظم فيه الأصوات، وهو انتقال يعكس نضجاً في النّظر إلى الظّواهر الصوتيّة بوصفها جزءاً من نظام أدائيّ متكامل.

وبناء عليه يمكن القول إنّ أبا عمرو كان ينظر إلى الإدغام في إطار شبكة من العوامل المتداخلة، يتفاعل فيها التّقارب النطقيّ، والصّفات الصوتيّة، والسّياق الأدائيّ، بحيث لا يستقلّ واحد منها بالحكم في جميع المواضع. فالسّياق لا يؤدّي دوراً ثانويّاً بل قد يكون عنصراً مرجّحاً لاختيار أحد الأوجه متى تساوت الاعتبارات الصوتيّة الأخرى، وهو ما يفسّر اختلاف بعض تطبيقاته عن الاتّجاه القياسيّ الذي تبنّاه عدد من نحاة البصرة.

ويلتقي هذا المفهوم مع ما يؤكّده علم الأصوات؛ وذلك في تفسير العمليّات الفونولوجيّة المشروطة بالسّياق (Context-sensitive Phonological Processes)؛ إذْ تبيّن الدّراسات المعاصرة أنّ كثيراً من التغيّرات الصوتيّة لا يمكن تفسيرها بعلاقة صوتين متجاورين وحدهما، وإنّما تتأثّر أيضاً بالبنية الإيقاعيّة، وطبيعة المقطع، وتسلسل الأصوات داخل السّلسلة الكلاميّة. وبناء عليه، فإنّ اختيار صورة معيّنة من صور الإدغام قد يكون استجابة لمتطلّبات النّظام الصوتيّ في سياقه الكليّ، لا لمجرّد التّشابه بين صوتين متجاورين (Odden, 2013; Gussenhoven & Jacobs, 2017).

وأخيراً، يتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ التّعليل الصوتيّ للإدغام عند أبي عمرو بن العلاء يقوم على رؤية متكاملة لا تجعل التّخفيف، أو الانسجام، أو السّياق الصوتيّ عوامل متنافرة، بل عناصر متفاعلة داخل منظومة واحدة. فالتّخفيف يوجّه الحركة النطقيّة، والانسجام ينظّم العلاقات بين الأصوات، والسّياق يحدّد موضع تطبيق هذه المبادئ وحدودها. وهذا التّكامل في التّعليل يكشف عن مستوى متقدّم من التّفكير الصوتيّ في التّراث العربيّ، ويؤكّد أنّ تحليل علماء العربيّة لظاهرة الإدغام لم يكن قائماً على الملاحظة الوصفيّة وحدها، بل استند إلى مبادئ تفسيريّة تقترب في جوهرها من كثير من التصوّرات التي تبنّتها اللسانيّات الصوتيّة الحديثة.

الخاتمة:

في ختام هذه الدّراسة يتّضح أنَّ ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء– كما نقلها ابن يعيش في شرح المفصّل– تقوم على أسس صوتيّة ونطقيّة، في مقدّمتها التّقارب المخرجيّ، والتّشابه في الصّفات، والتّخفيف، والانسجام الصوتيّ. وأنّ التّحليل أظهر عن إمكان قراءة هذه الظّاهرة في ضوء بعض المفاهيم اللسانيّة الحديثة، مع مراعاة خصوصيّة التصوّر الصوتيّ في التّراث العربيّ. ويمكن إجمال أبرز النّتائج والتّوصيات التي توصّلت إليها الدّراسة فيما يأتي:

نتائج الدّراسة:

1) أثبتت الدّراسة أنّ الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء يمثّل نظاماً صوتيّاً منضبطاً، يقوم على أسس لغويّة وفونولوجيّة واضحة، وليس مجرّد أداء قرائيّ أو اختيار روائيّ خال من التّعليل.
2) كشفت الدّراسة أنّ ابن يعيش في شرح المفصّل لم يقتصر على نقل أوجه الإدغام عن أبي عمرو، بل قدّم تفسيراً صوتيّاً دقيقاً لها، مستنداً إلى مفاهيم المخارج، والصّفات، والتّقارب بين الأصوات، مع مناقشة آراء سيبويه وغيره من العلماء واللغويّين.
3) أوضحت الدّراسة أنّ التّخفيف والاقتصاد النطقيّ يمثّلان الدّافع الرّئيس لكثير من أوجه الإدغام عند أبي عمرو، وأنّ هذا التّفسير ينسجم مع ما تقرّره اللسانيّات الحديثة بشأن ميل الجهاز النطقيّ إلى تقليل الجهد العضليّ أثناء إنتاج الكلام.
4) بيّنت الدّراسة أنّ الإدغام عند أبي عمرو يقوم في كثير من تطبيقاته على مبدأ المماثلة الصوتيّة، سواء أكانت مماثلة تامّة أم جزئيّة، وأنّ اختلاف درجات الإدغام يرتبط بدرجة التّقارب بين الأصوات في المخارج والصّفات.
5) أكّدت الدّراسة أنّ صفات الحروف، مثل: التفشّي، والاستطالة، والتّكرير، والإطباق، أسهمت إسهاماً بارزاً في توجيه أحكام الإدغام عند أبي عمرو، ولم يكن الاعتماد على تقارب المخارج وحده كافياً في تفسير اختياراته.
6) أظهرت الدّراسة أنّ أبا عمرو لم يلتزم دائماً بالقياس البصريّ في باب الإدغام، وإنّما راعى في بعض المواضع اعتبارات الأداء الصوتيّ، والتّخفيف، والانسجام النطقيّ، والمشاكلة الصوتيّة، وهو ما يفسّر بعض المواضع التي خالف فيها رأي سيبويه.
7) كشفت الدّراسة أنّ السّياق الصوتيّ كان عنصراً مؤثّراً في توجيه بعض أوجه الإدغام عند أبي عمرو، وأنّ مراعاة المشاكلة الصوتيّة والإيقاع القرآنيّ أسهمت في تفسير بعض اختياراته، إلى جانب الاعتبارات المخرجية والصفاتيّة.
8) أثبتت الدّراسة أنّ اعتراضات سيبويه على بعض أوجه الإدغام عند أبي عمرو لم تكن اعتراضات على أصل الظّاهرة، وإنّما كانت مبنيّة على اختلاف في تقدير مدى تحقق الشّروط الصوتيّة اللّازمة للإدغام، ولا سيّما ما يتعلّق بالحفاظ على بعض الصّفات المميّزة للأصوات.
9) بيّنت الدّراسة أنّ تعليلات ابن يعيش تمثّل حلقة مهمّة في تطور الفكر الصوتيّ العربيّ؛ إذْ جمعت بين الوصف الدّقيق للأداء، والتّفسير القائم على العلاقات بين المخارج والصّفات، وربطت بين الظّاهرة الصوتيّة وأسبابها النطقيّة.
10) أكّدت الدّراسة أنّ تقسيم اللغويّين القدامى الإدغام إلى متماثلين ومتجانسين ومتقاربين يعكس وعياً مبكّراً بدرجات التّشابه الصوتيّ، وهو تقسيم يتوافق في جوهره مع التّصنيفات الفونولوجيّة الحديثة القائمة على مستويات التّقارب بين الأصوات.

11) أوضحت الدّراسة أنّ كثيراً من المفاهيم التي وظّفها علماء العربيّة قديماً في تفسير الإدغام مثل التّخفيف، والتّقارب، والانسجام، والمشاكلة، يمكن إعادة قراءتها في ضوء مفاهيم لسانيّة حديثة مثل: المماثلة الصوتيّة (Assimilation)، والكفاءة المفصليّة (Articulatory Efficiency)، والاقتصاد الحركيّ (Motor Economy)، وانتقال السّمات المميّزة (Feature Spreading).

12) إنّ المقاربة اللسانيّة الحديثة لا تلغي التّفسير التراثيّ لظاهرة الإدغام، بل تكشف عن امتداده العلميّ، وتبرز أنّ جانباً كبيراً من التّحليل الصوتيّ عند اللغويّين القدامى يتّفق في نتائجه مع ما انتهت إليه الدّراسات الفونولوجيّة المعاصرة، وإن اختلفت المصطلحات والأدوات والمنهجيّات.

13) خلصت الدّراسة إلى أنّ قراءة ظاهرة الإدغام عند أبي عمرو بن العلاء من خلال شرح المفصّل لابن يعيش تؤكّد أنّ التّراث الصوتيّ العربيّ يمتلك قدرة تفسيريّة كبيرة، وأنّ إعادة دراسته في ضوء اللسانيّات الحديثة تسهم في بناء قراءة علميّة أكثر عمقاً، تجمع بين أصالة التّحليل التراثيّ ودقّة المناهج اللسانيّة المعاصرة.

التّوصيات:

1- العناية بإعادة قراءة التّراث الصوتيّ العربيّ في ضوء المناهج اللسانيّة الحديثة، بما يسهم في إبراز عمق التّحليل الصوتيّ عند علماء العربيّة، ويكشف عن إمكانات الإفادة منه في الدّراسات اللغويّة المعاصرة.

2- تشجيع الدّراسات التطبيقيّة التي تتناول الظّواهر الصوتيّة في القراءات القرآنيّة ولا سيّما ظاهرة الإدغام، من خلال الجمع بين التّحليل التراثيّ والتّحليل الفونولوجيّ الحديث؛ للوصول إلى فهم أشمل لآليّات الأداء الصوتيّ في العربيّة.

3- الاهتمام بدراسة جهود ابن يعيش الصوتيّة في شرح المفصّل دراسة مستقلّة؛ لما تتضمّنه من تعليلات دقيقة تمثّل امتداداً مهمّاً للدّرس الصوتيّ عند العلماء واللغويّين القدماء، وتسهم في فهم تطوّر الفكر اللغويّ العربيّ.

4- توسيع الإفادة من النظريّات الفونولوجيّة الحديثة في تحليل الظّواهر الصوتيّة العربيّة، مع مراعاة خصوصيّة النّظام الصوتيّ العربيّ، وتجنّب إسقاط النّماذج اللسانيّة الغربيّة إسقاطاً آليّاً على النّصوص التراثيّة.

5- إدماج نتائج الدّراسات الصوتيّة الحديثة في برامج تعليم الأصوات العربيّة والتّجويد والقراءات، بما يعزّز الرّبط بين الجانب النظريّ والتّطبيق العمليّ، ويساعد على تفسير الظّواهر الصوتيّة تفسيراً علميّاً دقيقاً.

6- تشجيع البحوث البينيّة التي تجمع بين اللسانيّات، والدّراسات القرآنيّة، وعلم الأصوات، والتّقنيات الصوتيّة الحاسوبيّة؛ لما لذلك من أثر في تطوير الدّراسات العربيّة وإثرائها بأدوات تحليل معاصرة.

7- العمل على تحقيق ودراسة المصادر التراثيّة التي تناولت الظّواهر الصوتيّة في القراءات القرآنيّة، وإخراجها في طبعات علميّة محقّقة، بما ييسّر الإفادة منها في الدّراسات اللسانيّة الحديثة.

8- الإفادة من التّقنيات الصوتيّة الرقميّة والبرامج المختبريّة في دراسة الأداء القرائيّ للقراءات المتواترة، ومقارنة نتائجها بالتّعليلات التي قدّمها العلماء واللغويّين؛ بما يسهم في بناء دراسات صوتيّة تجمع بين الدّليل التراثيّ والبرهان التجريبيّ.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الجزري، محمد بن محمد. (د.ت.). النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1385هـ). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط. 4. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1985). سر صناعة الإعراب. تحقيق: حسن هنداوي. ط. 1. دمشق: دار القلم.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد. (1401هـ). الحجة في القراءات السبع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. ط. 4. بيروت: دار الشروق.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. ط. 3. بيروت: دار صادر.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. (2001). شرح المفصل للزمخشري. تحقيق: إميل بديع يعقوب. ط. 1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل. (1982). إبراز المعاني من حرز الأماني. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- أنيس، إبراهيم. (1975). الأصوات اللغوية. ط. 5. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بشر، كمال. (2000). علم الأصوات. ط. 1. القاهرة: دار غريب.
- الداني، عثمان بن سعيد. (1984). التيسير في القراءات السبع. تحقيق: أوتو بريتزل. ط. 2. بيروت: دار الكتاب العربي.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط. 3. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الطبلاوي، منصور بن أبي النصر بن محمد. (2003). الشمعة المضيئة بنشر قراءات السبعة المرضية. تحقيق: علي سيد أحمد جعفر. ط. 1. الرياض: مكتبة الرشد.

- عمر، أحمد مختار. (1985). دراسة الصوت اللغوي. ط. 3. القاهرة: عالم الكتب.
- Gussenhoven, C., & Jacobs, H. (2017). *Understanding phonology* (4th ed.). Routledge.
- Hayes, B. (2008). *Introductory phonology*. Wiley-Blackwell.
- Johnson, K. (2011). *Acoustic and auditory phonetics* (3rd ed.). Wiley-Blackwell.
- Ladefoged, P., & Johnson, K. (2015). *A course in phonetics* (7th ed.). Cengage Learning.
- Lindblom, B. (1990). Explaining phonetic variation: A sketch of the H&H theory. In W.
- Odden, D. (2013). *Introducing phonology* (2nd ed.). Cambridge University Press.
- Zsiga, E. C. (2012). *The sounds of language: An introduction to phonetics and phonology* (2nd ed.). Wiley-Blackwell